الصيام المقبول

كيف يقبل اللّه صيامنا؟

صابر خليل

بسم الله الرحمن الرحيم

الصيام المقبول

القسم الأول

منافع الصيام

لا شكّ أن للصيام منافع عديدة في مجالات كثيرة، منها المنافع الصحية والشخصية والعائلية والاجتماعية والعقلانية والروحانية، وعلى هذا قد اتفق العلماء في العالم أجمع. من حيث الصحة، فينفع الصيام في تنظيف المعدة والشفاء من أمراض الجهاز الهضمي. من الناحية الشخصية، يخفف الصيام من العادات السيّئة أو الضّارّة كالدخان مثلاً أو يعين المرء بالتخلّص منها. وبالنسبة إلى الروابط العائلية، فيفيد الصيام في جمع العائلة عند الإفطار وتقوية المحبة بين أفراد الأسرة. من حيث المجتمع، يقوّي الصيام الروابط الاجتماعية بين الجيران والأقارب والأصدقاء، وبتكوين التضامن كمجتمع متكامل موحد. بالنسبة إلى العقل، يزيد الصيام القدرة على التفكير والتركيز لأنه يزيد كمية الدم المتوفر للعقل. من الناحية الروحانية، فمن امتنع عن الطعام والشراب، وكلاهما حلال وشرعي، سوف يجد أن الله تعالى سيعينه في مقاومة الشر وفي الامتناع عن الرغبات غير الشرعية. بالإضافة إلى ذلك، من صام سيشعر أن الله تعالى أقرب إليه وأن دعاءه يستجاب أكثر.

لماذا فرض الله تعالى الصيام؟

كثيرا ما نسمع "إن شاء الله يتقبل صيامك" أو "صياما مقبولا" ولكن **كيف يتقبل الله صيامنا**؟ إن الله تعالى لا يقبل صيامنا إلاّ إذا تحققت غاياته في الصيام . ولقد ذكرنا سالفاً منافع كثيرة للصيام **ولكن ما هي الغايات الرئيسية من الصيام؟**

يجيب البعض: إن الله عز وجل فرض علينا الصيام لكي نشعر بالفقراء وما يعانونه من الجوع والحرمان. ولكن أصحاب هذا الرأي قد نسوا أنه تعالى فرض الصيام على الأغنياء كما فرضه على الفقراء، الذين لا حاجة لهم أن يشعروا بأنفسهم. وبالتالي هذه الإجابة ليست منطقية – لا يمكن أن يكون الإحساس مع الفقراء من غاياته تعالى الرئيسية.

يجيب آخرون أنه تعالى فرض علينا الصيام ليغفر لنا الله ما تَقَدَّمَ من ذنوبنا. لكن هذا الرأي أيضاً غير صحيح. فلو كان الله يغفر ذنوب الإنسان بسبب صيامه أو حسناته، لأصبح الغفران استحقاقاً وأجراً مترتباً على الله تعالى وليس رحمة وتكرماً منه. لقد جاء في القرآن الكريم:

{إن الله غفور} (البقرة ١٨٢)

ولكن لم يجئ فيه أبداً أنه دافعٌ للأجور. جاء أيضاً في القرآن الكريم:

{إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر} (الفتح ١-٢).

تفيد هاتان الآيتان بكل وضوح أن الله تعالى فتح ذلك الفتح لكي يغفر الذنوب لا لأننا نستحق الغفران. لقد أخذ الله المبادرة في غفران الخطايا، وقد شاء الله تعالى ذلك، وفعله لأنه تعالى أراد ذلك. يصدر الغفران من رحمة الله، كما جاء في القرآن الكريم:

{إن الله غفور رحيم} (البقرة ١٨٢).

والحمد لله الذي يغفر ذنوبنا بسبب رحمته وليس لاستحقاق بشري. إن هذه إجابة أيضاً تتعارض مع المنطق ، كما يوضح لنا ما يلي:

الناسك الحكيم

يروى أن رجلاً كان دائماً يبحث عن غفران خطاياه وآثامه ولا يجد سبيلاً. وكان ملتزماً يصلي ويصوم ويزكّي ويتصدق باستمرار ويعمل الصالحات ما أمكن. ولكن ما كان يشعر بالاطمئنان بأن الله سوف يغفر له سيئاته يوم الدين. وذات يوم سمع عن ناسك وافر العلم ونافذ البصيرة فقصده لعله يجد عنده جواباً يريح باله ويهدئ نفسه. كان سفره طويلاً وشاقاً وعندما وصل، كان متعباً وعطشاً. استقبله الناسك بكل لطف، سأله الرجل على الفور: "كيف أحصل على غفران ذنوبي؟" فاستمهله الناسك وقال "تفضل أولاً واسترح وسأجلب لك ما تشربه." وجاءه بكأس من الماء البارد. ولكن قبل أن يقدِّم الكأس للرجل، تناول ريشته وغمسها في المحبرة وأضاف نقطة واحدة من الحبر إلى كأس الماء المزمع أن يقدمه للرجل. انزعج الرجل وتعجب وسأله "لماذا فعلت ذلك؟؟؟" قال الناسك: "لقد أجبت على سؤالك فقط. لقد اشمأززت لأني أضفت إلى كأسك قطرة صغيرة فقط من الحبر فرفضت كأسا كاملة من الماء اللذيذ، أفتريد من الله القدوس البار أن يرضى بحسناتك وأنت قد سوّدتها بخطاياك وذنوبك الباطنة الخفية؟" ففهم الرجل أن لا علاقة بين الحسنات والغفران، لأنه كما تفسد قطرة واحدة من الحبر كأساً كاملة من الماء النقي، كذلك سيئةُ واحدةُ، سواء كانت كلمة أو فكرة أو عملا ،تفسد مجموعة كبيرة من الصالحات.

ما هي غايات الله من الصيام؟؟؟

يذكر القرآن الكريم شهر رمضان مرة واحدة فقط :

{شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد الشهر فليصمه} (البقرة ١٨٥)

لكن يوضح القرآن الكريم غاية من غايات الله من الصيام في الآيات التالية:

لقد فرض الله تعالى الصيام على الذين

- يقتلون خطأً مؤمناً آخر (النساء ٩٢)،
- لا ينفذون أقسامهم ووعودهم (المائدة ٨٩)،
- يعصون الله في الصيد وهم حرم في الحج (المائدة ٩٥)
- يصرفون نساءهم ثم يريدون رجوعهن (المجادلة ٤)

نجد أن الإنسان قد ارتكب ذنباً، لذلك كتب الله تعالى عليه الصيام. قد رأينا فيما سبق أن غفران الله ينبع من رحمته تعالى وليس من استحقاقنا. نصل إلى الاستنتاج الآتي: **الصيام هو سبيل الله لجعل المذنب يشعر بذنبه ويندم عليه ويتوب عنه**.

وبالتالي، على كل من يرتكب ذنباً أن يقر بذنبه ويندم عليه، ويتوب عنه، وإلاّ كان صيامه باطلاً. وبما أن البشر جميعاً مذنبون وخطاءون كما جاء في القرآن الكريم:

- {إن الله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون} (يونس ٤٤)
- {ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة} (النحل ٦١)
- {إنه كان ظلوماً جهولاً }(الأحزاب ٧٢)
- {إن الإنسان لظلوم كفار} (إبراهيم ٣٤)
- {قُتِلَ الإنسانُ ما أكفره} (عبس ١٧)

- {إن الإنسان لكفور} (الحج ٦٦)
- {إن الإنسان لكفور مبين} (الزخرف ١٥)
- {فإن الإنسان كفور} (الشورى ٤٨)
- {وكان الإنسان كفوراً} (الإسراء ٦٧)
- {إن النفس لأمارة بالسوء}(يوسف ٥٣)

إذاً، نحن الناس جميعنا ظالمون وكافرون ولنا نفس أمّارة بالسوء، وبما أن كل شخص قد ارتكب ذنوباً، كما وضحت لنا هذه الآيات، فعلى كل واحد أن يقرّ بذنوبه وآثامه وظلمه وكفره وسيئاته ويندم عليها، لذلك فرض الله الصيام على الجميع، كما جاء في القرآن الكريم:

{كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون} (البقرة ١٨٣)

هل تعترف بأنك ظالم وكافر ومسيء، كما يَصِفُك القرآن الكريم بالآيات السابقة؟؟؟ وهل ندمت على ذنوبك هذه؟؟؟ إن كان جوابك "نعم"، فحينئذٍ تحققت غاية الله الأولى من الصيام!! ولكن هل يكفي الإقرار بالذنب والندم؟؟ لقد جاء في القرآن الكريم عن حالتنا ومصيرنا في الآيات التالية:

- {ألا أن الظالمين في عذاب مقيم} (الشورى ٤٥)
- {إن الظالمين لهم عذاب أليم} (إبراهيم ٢٢)
- {فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين} (الحشر ١٧)
- { وللكافرين عذاب مهين} (البقرة ٩٠)
- { وللكافرين عذاب أليم} (البقرة ١٠٤)

- { واعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً } (النساء ٣٧)
- { واعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً } (النساء ١٥١)
- { إن الله أعد للكافرين عذاباً مهيناً } (النساء ١٠٢)
- { إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً } (النساء ١٤٠)
- { وأن للكافرين عذاب النار } (الأنفال ١٤)
- {وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم} (التوبة ٦٨)
- { وعقبى الكافرين النار } (الرعد ٣٥)
- { وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً } (الإسراء ٨)
- {فلنذيقنّ الذين كفروا عذاباً شديداً ولنجزينّهم أسوأ الذي كانوا يعملون} (فصلت ٢٧)
- { ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوء } (الروم ١٠)
- { بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون} (البقرة ٨١)
- { فأخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب} (آل عمران ١١)

إن كان الله يعاقب المذنبين جميعهم، ونحن جميعاً مذنبون، إذاً، كل واحد منا سينال عقابه في جهنم وبئس المصير. **ماذا نعمل لننجو مما كسبنا من جزاءٍ أليم بسبب خطايانا؟؟؟**

القسم الثاني

إرادة الله تعالى في صيامنا

لقد عرفنا في الجزء الأول أننا خطّاءون ،إما بالفعل أو بالكلام أو بالفكر، وأن الثقة بأنفسنا الأمّارة بالسوء هي باطلة، وأن السيئات تفسد الحسنات. وإن كنا نقرّ بهذه الحقائق ، فلقد اجتزنا المرحلة الأولى لإرضاء الله في صيامنا. والآن نصل إلى السؤال الثاني الهام، وهو : **كيف يريد الله تعالى أن نصوم؟؟؟** لقد جاء في القرآن الكريم:

{كُتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون} (البقرة ١٨٣)

إذاً، يريد الله منا التقوى، لكن أيّ نوع من التقوى يريد؟؟؟ إن الله السميع البصير يرى القلوب ولا يخدعه أحد. لكن هناك فريق من الناس يصومون لكي يراهم آخرون، و هؤلاء المنافقون يقولون بصوت عالٍ: "الحمد لله أنا صائم" لكي يمدحهم الناس. هؤلاء فعلاً أخذوا جزاءهم من الناس ولا ثواب لهم عند الرحمن.

ونرى أيضاً فريقاً من الناس يفتخرون، "في رمضان أنا لا أسرق ولا أغش ولا أكذب ولا أختلس النظر على البنات." وهم يدّعون أنهم بهذا ذوو فضيلة. دون أن يكون لادعائهم أساس من الصحة، لأنه تعالى منع الحرام في كل شهور السنة وليس في شهر الصيام فقط. وهذا النوع من البشر لا يدركون مقاصد الله أبداً وليس لهم أيّ ثواب.

وهناك فريق آخر يراعون شعائر الصيام الخارجية كلها، لكن بدون أي تأثُّر أو تغيير في حياتهم الأخلاقية اليومية. مثلاً، يغشون زبائنهم في أيام الصيام مثلما يغشونهم في الأيام الأخرى. ويحلفون "واللهِ" وهم كاذبون في أيام الصيام مثل عادتهم. ويتشاجرون مع أطفالهم في أيام الصيام مثل عادتهم أو أكثر. ويتذمرون من آبائهم وأمهاتهم في رمضان كما في الشهور الأخرى. ويسبّون السائقين الآخرين، وهم صائمون، كعادتهم أو أسوأ. ويفكرون في ما يخصّهم وليس في ما يخصّ غيرهم مثل عادتهم. وينظر الرجال منهم إلى البنات والنساء بنظرة الشهوة كما هي عادتهم. وتتكلم النساء منهم بالنميمة بعضهن على بعض كالعادة. والصيام هذا موصوف في ما يلي:

الصيام الذي يرضي الله

خلال صيامكم، بالعيش الأناني تنشغلون
وعن ظلم عمّالكم لا تكفّون
ولا عن المشاجرة والخصام والضرب وأنتم ظالمون
أيقبل الله هذا الصيام حيث فقط تتواضعون وتركعون؟
كلاّ ، بل صيام الرحمن هو إطلاق سراح المظلومين
ووقف ظلمكم للعمّال وإطعام الجائعين
واستقبال الفقراء المشردين
وكسوة العراة ومساعدة الأقربين

وكم شخصا منا قد اختبر أن صيامه لا يغيّر حياته الأخلاقية اليومية؟ فيحكم القرآن الكريم على هذا النوع من الصيام، وعلينا نحن أيضاً، بقوله ﴿لعلكم تتّقون﴾. بذلك يخبرنا القرآن

الكريم أيضاً ما يريده الله لكيفية الصيام وهو التقوى. فإن كانت التقوى العملية لا تنجم عن الصيام، فالصيام هذا ليس مقبولاً عنده تعالى.

وإن كنا فعلاً نقرّ بذنوبنا، فلقد عرفنا أيضاً أننا أصحاب النفس الأمّارة بالسوء ونحن عاجزون على أن نحيا حياةً ترضي الله وعلى أن نصوم صياماً مقبولاً. **فما هو الحل؟؟؟** كما سألنا في القسم الأول، ماذا نعمل لننجو مما كسبنا من عقابٍ أليم بسبب خطايانا وذنوبنا؟؟؟

النجاة من الهلاك

نقلت الصحف أنه في إحدى المدن الكبيرة اشتعل حريق في مبنى سكني قديم، وكان الحريق كثيفاً وأقامت الشرطة حاجزاً لمنع اقتراب الناس من المبنى. ونجا معظم الناس ولكن فتاة صغيرة هربت من النار التي شبت في غرفتها إلى سطح المبنى وابتدأت تصرخ إلى الناس الذين تجمعوا في الشارع: "أنقذوني، أنقذوني !" وعيناها تنهمر بالدموع ورآها طاقم الإطفاء لكنهم لم يجدوا طريقة لإنقاذها بسبب كثافة الحريق والدخان. وكان الناس يترقبون أن تأتي النار على جسدها النحيل وهم لا يقدرون أن يفعلوا شيئاً سوى الحيرة والانتظار. وصادف أن أباها كان عائداً إلى بيته ورأى المشهد المروع واندفع إلى إنقاذها. فاخترق المتفرجين وحاجز الشرطة ودخل البناء الذي بجانب بيته وصعد إلى سطحه. من هناك أشار لابنته أن تقترب. وقال لها: "بابا، اقفزي إلى هنا!" ردّت: "لا أقدر. أنا خائفة." ولم يجد الأب طريقة لإنقاذ ابنته سوى أن يجعل من جسمه جسراً بين المبنيين حتى تعبر ابنته فوق جسمه إلى بر الأمان ". فألقى جسمه بين المبنيين وكانت يداه ممسكتين بطرف مبنى بيته ورجلاه في المبنى الثاني. وقال :"اعبري الآن، يا حبيبتي"، لكنها خافت. فقال لها: "ثقي بي واعبري." فعبرت ونجت. لكنه لم يقدر أن يرجع إلى السطح فوقع إلى الأسفل

ومات. والجموع الحاضرة عندما رأت هذا المشهد المؤثر، قالت باستغراب كبير، "هذا هو الحب الحقيقي!"

إن مَثَلَنا نحن جميعاً كَمَثَلِ تلك الفتاة، نحتاج إلى مَن ينجّينا ويشفع لنا عند الله تعالى.

ومَن هو هذا الذي يأذن له رب العالمين أن يشفع؟؟؟

قد تُفاجئك الإجابة .....

القسم الثالث

مَن هو شفيعنا عند الله تعالى؟

حتى الآن رأينا أن صيامنا لن يكون مقبولاً إلا عن طريق شفيع. لكن مَن هو القادر على الشفاعة؟ كما جاء في القرآن الكريم:

{من ذا الذي يشفع عنده إلاّ بإذنه} (البقرة ٢٥٥)

الشفاعة بين طرفين هي عملية لا يقوم بها إلاّ من توفَّر له الشَرْطان التاليان. فالشفيع:

١) لا إساءة بينه وبين الطرفين

٢) له حظوة عند الطرفين بسبب العلاقة الحميمة بينه وبينهما.

بالنسبة إلى الشرط الأول، يقول فريق من الناس إن الأنبياء هم جميعاً معصومون عن الذنوب، وبالتالي، يمكنهم أن يتشفعوا عند الله تعالى إن توفر لهم الشرط الثاني. ولكن على أيّ أساس يقولون هذا؟ لا إثبات على هذا في كتاب الله!!! جاء في القرآن الكريم، كما قرأنا أعلاه:

- {إن الله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون} (يونس ٤٤)
- {ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة} (النحل ٦١)
- {إنه كان ظلوماً جهولاً }(الأحزاب ٧٢)

- {إن الإنسان لظلوم كفار} (إبراهيم ٣٤)
- {قُتِلَ الإنسانُ ما أكفره} (عبس ١٧)
- {إن الإنسان لكفور} (الحج ٦٦)
- {إن الإنسان لكفور مبين} (الزخرف ١٥)
- {فإن الإنسان كفور} (الشورى ٤٨)
- {وكان الإنسان كفوراً} (الإسراء ٦٧)
- {إن النفس لأمارة بالسوء }(يوسف ٥٣)

ونلاحظ أن القرآن الكريم لا يستثني حتى الأنبياء أبداً. فجميع الناس خطّاءون – نحن والأنبياء على حدٍ سواء – ونحتاج جميعنا إلى شفيع. والآن دعنا نتعمق اكثر لنتأكد كل التأكيد لنرى ما جاء في القرآن الكريم عن بعض الأنبياء (عليهم السلام جميعاً) في هذا الخصوص:

عن آدم و حواء: { ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكون من الخاسرين} (الأعراف ٢٣)

- { وعصى آدم ربه فغوى} (طه ١٢١).

عن نوح: { وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين} (هود ٤٧)

- { رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات} (نوح ٢٨).

عن إبراهيم:{ والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين} (الشعراء ٨٢)

- { ربنا اغفر لي ولوالديّ وللمؤمنين يوم يقوم الحساب} (إبراهيم ٤١).

عن موسى: { فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان . . .قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي} (القصص ١٥-١٦)

عن هارون: { ألا تتّبعن أفعصيتَ أمري}(طه ٩٣)

عن موسى وهارون معا: { قال رب اغفر لي ولأخي} (الأعراف ١٥١)

عن داود: {فاستغفرَ ربه} (صاد ٢٤)

عن سليمان:{إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي. . .قال ربي اغفر لي} (صاد ٣٥،٣٢)

عن يونس:{ إني كنت من الظالمين } (الأنبياء ٨٧)

- { فالتقمه الحوت وهو مليم} (الصافات ١٤٢)

عن محمد (ص): {ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر}(الفتح ٢)

- { واستغفرْ لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات} (محمد ١٩)
- { واستغفرْ لذنبك وسبح بحمد ربك} (المؤمن أو غافر ٥٥)
- { واستغفرْ الله} (النساء ١٠٦)
- { عبس وتولى إذ جاءه الأعمى} (عبس ١-٢)
- { فسبح بحمد ربك واستغفرْه} (النصر ٣)
- { وضعنا عنك وزرك}(الانشراح ٢)
- { وقل رب اغفر وارحم}(المؤمنين ١١٨)

فلا نبي أو رسول من هؤلاء يقدر أن يشفع، لأن هناك إساءة بين كل شخص منهم وبين الله تعالى. فحتى الشرط الأول غير متوفّر عندهم ناهيك عن الشرط الثاني. فالأنبياء والرسل غير معصومين، كما يظن البعض، بل هم بحاجة إلى غفران الله تعالى بسبب خطاياهم مثلنا. والذين يرفضون قبول هذه الحقيقة رغم جميع هذه الأدلة في الآيات المذكورة أعلاه، مثلهم كمثل الفلاح في هذه القصة:

الفلاح والضريبة

خلال فترة الحكم العثماني كان هنالك فلاح فقير يعمل أجيراً في مزرعة وبالكاد يسد رمق عائلته ولا يملك إلا قطعة واحدة من النقود ورثها عن أبيه وجده. كان من حين إلى آخر يتفقد قطعته الثمينة ويمتع نظره بها وكان يحلم بأنها ستحل ضائقته المادية وتنتشله من فقره في يوم من الأيام، ولكنه أبى أن يبيعها، فهي إرثه عن أبيه وجدّه.

ذات يوم، صدر أمر من الحكومة العثمانية يقضي على كل مواطن في السلطنة أن يدفع مبلغاً من الذهب بقيمة دينار عثماني، وعلى كل من كان فقيراً ولا يقدر دفعه، أن يصرح بأنه عاجز عن الدفع فيعفى من السلطان. وكان جزاء من يدّعي الفقر كذباً، وكذلك من لا يصرح بفقره قبل يوم الدفع، جزاءاً واحداً: سيُعتقل ويُرمى في السجن ويتعذب هناك حتى يدفع الضريبة كاملة. ووصل الخبر إلى الفلاح الفقير، فقرر فوراً أن يصرح بفقره، لأن النقود القليلة التي كانت لديه لا تساوي أكثر من ثلاثة دراهم.

ولكن قبل أن يصرح، تذكر القطعة النقدية التي خبّأها وخاف، فقرر أن يدفعها, وقبل يوم الدفع كان يتحدث مع زملائه الفلاحين عن الضريبة وعن تصريحاتهم، وسألوه "لماذا لم تصرح بعد؟" قال: "عندي قطعة نقدية ورثتها عن أبي وجدي وسوف أدفعها." فاستغربوا جميعاً وطلبوا أن يروها ، فأخرجها وأراهم إياها، وقال جاره الفلاح: "أهذه حقيقية؟ إن رنينها غريب." أجاب: "قد ورثتها عن أبي وجدي. أيُعقل ألا تكون حقيقية!؟ مستحيل!" وقال آخر: "لمعان القطعة ليس كلمعان الذهب، فقد تكون مزورة." لكن الفلاح أصرّ وقال: "هذا إرثي عن أبي وجدي. هل يمكن أن تكون مزورة؟" وقال آخر: "وزنها أخف من الذهب، فهل أنت متأكد؟" قال الفلاح: "مئة في مئة."

استيقظ الفلاح في يوم دفع الضريبة، وفتح صندوقه. . . حمل قطعته بيده وذهب إلى البلدية ليدفع، ولما أتى دوره، أعطى اسمه ومكان سكنه وقدم القطعة. عبس الجابي المسؤول وقال: "ما هذه؟" قال الفلاح: "إنها قطعة ذهب ورثتها من أبي وجدي، فأحضرتها لأدفع الضريبة." قال الجابي: "لكنها ليست من الذهب." أجاب الفلاح: "بلى، لأن أبي

وجدي أورثاني إياها." فقال الجابي: "لا يهمني عمن ورثتها، بل يهمني أن تكون ذهباً، وهذه ليست ذهباً. اذهب واحضر غيرها." فذهب إلى السوق لبيعها للتجار، لكنهم أجابوه، "إنها ليست حقيقية." فدار في السوق كله ليجد من يشتريها منه, ولم يجد، فعاد إلى الجابي ليرجوه، ولكنه إجابه، "أنا متأسف، لكن لا خيار عندي إلا أن أحيلك إلى السجن."

ومثله كمثل من يثق بمصداقية شيء كونه من مصدر عزيز، ولا يتأكد من صحته.

لنرجع إلى سؤالنا المطروح: من هو الشفيع؟

لم ينسب القرآن الكريم المسيح عيسى بن مريم أيّ خطيئة أو ذنب يستوجب الاستغفار إطلاقاً، على عكس الأنبياء الآخرين، كما رأينا سابقاً. ويؤكد ذلك القرآن الكريم:
{ لأهب لك غلاماً زكياً} (الزكي: الطاهر الخالي من الخطيئة أو الذنب – مريم ١٩).

إذاً، **يتَوَفَّرَ الشرط الأول لدى المسيح عيسى بن مريم دون سواه.** ولكن ماذا عن الشرط الثاني؟؟؟ ...

من له حظوة عند أحد الطرفين، يجب عليه أن يتمتع بعلاقة حميمة مع هذا الطرف وذاك. فمن ذا الإنسان الذي يتمتع بهذه العلاقة الحميمة مع الله عز وجل ؟؟؟ **فقط الذي له شيء من طبيعته تعالى.** ومَن هو؟؟؟ إن القرآن الكريم لا يذكر إلاّ شخصين – آدم والمسيح عيسى بن مريم – أن الله تعالى نفخ فيهما من روحه، بالتالي يتوفر فيهما دون فيرهم من البشر هذا الشرط الثاني. عن آدم جاء في القرآن الكريم:
{ثم سواه ونفخ فيه من روحه} (السجدة ٩)

لكن عن آدم جاء في القرآن الكريم أيضاً:

{ وعصى آدم ربه فغوى} (طه ١٢١)

فبسبب عصيانه، فقد آدم امتياز الشفاعة لأنه لم يتوفر فيه الشرطان اللازمان للشفاعة.

وأما بالنسبة إلى المسيح عيسى بن مريم ، فيؤكد القرآن الكريم طهارته حسبما جاء فيه:

- { لأهب لك غلاماً زكياً} (مريم ١٩)
- { والتي أحصنت فرجها ونفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين} (الأنبياء ٩١)

تخبرنا هاتان الآيتان بكل وضوح أن المسيح عيسى بن مريم تكوَّن عن طريق نفخة من روح الله في أمّه مريم وبالتالي، له طبيعتان: الأولى من روح الله والثانية بشرية من أمّه، وبذلك يكون هو الوحيد الذي يتوفر فيه كلا الشرطين اللازمين ليكون شفيعاً بين الله والناس.

وبالفعل يصرح القرآن الكريم على وجود شفيع واحد فقط يشفع عند الله تعالى لأن جاء فيه:

{من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه} (البقرة ٢٥٥)

بصيغة المفرد. نلاحظ أن القرآن الكريم لم يذكر "ومن هؤلاء الذين يشفعون عنده إلا بإذنه"، بصيغة الجمع، بل

{من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه}.

إذاً، المسيح عيسى بن مريم هو هذا الشفيع الوحيد.

ونرى أن القرآن الكريم يذكر صفة ضرورية لهذا الشفيع بما جاء فيه:

{من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه}

إذاً، على الشفيع أن يعمل بإذن الله. ولقد جاء في القرآن الكريم أيضا عن المسيح عيسى بن مريم:

- {إني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحي الموتى بإذن الله} (آل عمران ٤٩)
- { وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيراً بإذني وتبرئ الأكمه والأبرص بإذني وإذ تخرج الموتى بإذني} (المائدة ١١٠)

قد أكد القرآن الكريم هنا ست مرات أن المسيح عيسى بن مريم كان يعمل كل ما عمله بإذن الله عزّ وجلّ. فلذلك فهمنا أن القرآن الكريم يشير إلى المسيح عيسى بن مريم عندما جاء فيه :

{من ذا الذي يشفع عنده إلاّ بإذنه} (البقرة ٢٥٥)

من ذا؟؟؟ هو { المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه} (النساء ١٧١) وهو الذي يشفع وحده عند رب العالمين .

ويتفق ما استنتجناه من القرآن الكريم مع شهادة الإيمان الموجودة في الإنجيل الشريف:

{لا إله إلا الله ولا شفيع بين الله والناس إلا المسيح عيسى بن مريم} (١ تيموثاوس ٢ ، الآية ٥).

إذاً، جميع الذين يصومون لن يُقبل منهم صيامهم إلا إذا اتخذوا سيّدنا المسيح عيسى بن مريم موضع ثقتهم ليشفع لهم. ذلك سبيل الله للصيام المقبول. والحمد لله على أنه وهبنا المسيح عيسى بن مريم شفيعاً، وإلا كنا صائمين بلا فائدة !!!!

أين ثقتك، عزيزي القارئ؟؟؟ هل أنت متّكل على أعمال نفسك الأمّارة بالسوء؟؟؟ أم على أشخاص لا يفيدون أو أشياء لا تنفع في الشفاعة عند الله تعالى؟؟؟ أم على

{المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه} (النساء ١٧١)

الذي وحده يؤذن له أن يتشفع عند الرحمن؟؟؟ هل صيامك مقبول، أيها القارئ؟؟؟ أتمنى ذلك.